بناء سورية و إعمارها في التعليم

د. بلال عرابي*

الملخص

تناول هذا البحث واقع التعليم في سورية في السنوات السابقة للأزمة، وخلال الأزمة السورية، لفهم شكل التعليم وبنيته العامة التي حكمت جيلًا من أبناء الوطن قبل الأزمة، وكيف تشكلت قيمه، ونوعية تعليمه، وكيف دخل في الأزمة الحالية منذ عام 2011.

ركَّز البحث على مشكلات التعليم في سورية: جدوى التعليم والرسوب (إعادة السنة)، وتسرب الطلاب drop– out: (مغادرة الطالب لمرحلة تعليمية دون أن يتمها)؛ لأن قطع التعليم ومغادرة المدرسة؛ هو أخطر ما يواجه تعليم الأطفال حين يدخلون سوق العمل أو البطالة.... دون منظومة قيمية وعلمية أساسية؛ لتحقيق المأمول لسورية في التماسك الاجتماعي – الثقافي، في تبني قيم التسامح والعيش المشترك، وتحقيق تنمية لسورية كلّها.

الكلمات المفتاحية: التعليم، التسرب، الرسوب، الأزمة السورية، إعمار.

* جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم علم الاجتماع.

Education: the Key to Syria's Reconstruction

Dr. Bilal Orabi**

summary

This paper examines the reality of education in Syria throughout the years of the current crisis, and prior. It aims at examining the methods and mechanisms of education and its general structure which dominated for generations prior to the crisis, and at thoroughly inspecting its values and qualities, and how it transformed into its current status during the country's ongoing crisis. (2011-2017.)

The research focuses on the problems of education in Syria: the efficiency of the education system including the repetition of a school year (in case of failure by students), or in case of dropping out (leaving an educational stage without completing it), as this constitutes the most critical problem facing children's education when they enter the labor market or they are faced with unemployment.

The paper also reveals that only a good scientific system with essential values can achieve Syria's aspiration for socio-cultural cohesion, and can instill the values of tolerance, coexistence and development throughout Syria.

This research focuses on Syrian schools and calls on the state to exert efforts to rebuild them, as it is the best way to restore social stability and rebuild the people's capabilities which are the basis for the reconstruction of Syria.

Key words: Education, drop-out, failure, Syrian Crisis, reconstruction.

** Professor of Sociology at the University of Damascus.

أولًا: تطور التعليم في سورية:

لا يمكن فهم الحالة الراهنة للتعليم في سورية دون معرفة تطور التعليم بمراحله المتعددة قبل الأزمة السورية، والهدف من ذلك؛ معرفة واقع التعليم السوري، ومواقع الخلل في العملية التربوية السورية.

تظهر إحصائيات 2007م أن 57% من سكان سورية من القوة البشرية في سن العمل (15– 64) سنة. في حين الفئة العمرية دون 15 سنة هي 39,5% من السكان في سورية، (حالة سكان سورية، 2008 م، ص: 292)

الهرم السكاني عريض القاعدة؛ يعني بأن جهود تنمية المجتمع اقتصاديًا يجب أن تتركز في هذه الفئة 40% من السكان... لأن الاستثمار في الموارد البشرية هو الاستثمار الأمثل للتنمية. بقي التعليم في سورية يحكمه التقدم الإجمالي "الكمي" متقدمًا على محور كفاءة التعليم، وعلى تحسين مستوى التعليم وجدواه. أظهرت الأزمة أن هناك ضعفًا في كفاءة التعليم الداخلية، وضعفًا في مخرجات التعليم، و في قدرته على الصمود أوقات الأزمات، أو حتى على المنافسة في سوق العمل.

1– مرحلة ما قبل التعليم الأساسي:

تعدُّ مرحلة ما قبل التعليم الأساسي، المرحلة الأكثر أهمية في تشكيل القيم والاتجاهات السلوكية للمتعلمين، ومهمة في إكساب المتعلم مهارات التعلم الذاتي.

- ✓ هذه المرحلة تضم فئتين – دون 3 سنوات، هي مرحلة الحضانة.

والفئة العمرية من 3– 5 سنوات، هي مرحلة رياض الأطفال.

مرحلة الحضانة ترتبط بعمل الأم، وهي نسبة نحو 20% من الأمهات في سورية، وقد بقيت دور الحضانة موزعة على منظمات ومؤسسات مختلفة إلى وقت متأخر، إلى أن أقر مجلس الشعب القانون الخاص بإشراف عام لوزارة الشؤون الاجتماعية على دور الحضانة في 16 آذار 2015م: مع أهمية هذه المرحلة؛ بقي النظر إليها بوصفها وسيلة دعم لعمل المرأة، وليست مرحلة تعليمية...

أمَّا مرحلة رياض الأطفال فقد راوحت نسبة الالتحاق فيها بين عام 2000م، إلى 2007م ما نسبته من أطفال (3–5) سنوات بين 10% إلى 12%، والنسبة الكبرى لصالح الذكور في كل سنة. بما يعكس موقفًا مجتمعيًا لتفضيل الذكور (تحليل الوضع الراهن للطفولة، 2008م).

التعليم قبل التعليم الأساسي3–5 سنوات غير إلزامي في سورية، وغير مكفول من الدولة؛ لذلك أجور هذا التعليم مكلفة على العائلات الفقيرة، وبوجود معدلات فقر 30% في عام 2004، إلى جانب ضعف مشاركة المرأة في قوة العمل 17,3% عام 2004، ومعدل الإعالة المرتفع 3,6 للمعيل (حالة السكان، 2008) هي عوامل تسهم في ضعف الإقبال على التعليم ما قبل الأساسي؛ وتجعل نسبته 10% من الأطفال فقط؛ غير فعالة في هذا التعليم الضروري، وهي نسبة مضرة بجهود التربية السورية، إذ 90% من الأهالي غير مقتنع بأهمية هذا التعليم.

يقتضي النهوض بالتربية عمومًا تغيير وجهة النظر الاجتماعية نحو التعليم ما قبل الأساسي، وتأكيد مسؤولية الدولة في هذا المجال وطنيًا واستراتيجيًا؛ لمستقبل التنمية في سورية.

بلغ عدد المعلمين في رياض الأطفال ذكورًا وإناثًا (6710) عام (2004م)، وعدد الأطفال (146403)؛ ممَّا يعني أن 21,8 طفلًا لكل معلم ؛ هي نسبة منهكة للمعلم؛ إذا حسبنا حاجات الطفل في هذه المرحلة، وحركته ومتطلباته غير التعليمية (وزارة التربية، 2004م، ص: 73).

2– التعليم الأساسي:

يلتحق أطفال سورية بالتعليم الأساسي في عمر ست سنوات، تمتد مرحلة التعليم الأساسي في سورية من 6–14 سنة، من الصف الأول حتى الصف التاسع. وهو تعليم إلزامي ومجاني في المحافظات السورية جميعها. وتقدم الدولة الكتب مجانًا للتلاميذ حتى الصف التاسع، إلى جانب وجود تعليم خاص.. مرجعياته على الغالب دينية.

اعتمدت سورية في نظام التعليم الأساسي : مبدأ إلزامية التعليم، حتى الصف السادس الابتدائي، إلى أن رفع سن التعليم الإلزامي بالمرسوم التشريعي رقم 32 لعام 2002 م إلى الصف التاسع، بما يضم مرحلة التعليم الابتدائي والإعدادي، وتغيرت تسميته إلى الحلقة الأولى والحلقة الثانية من التعليم الأساسي.

منذ بداية تطبيق التعليم الأساسي في العام الدراسي أيلول 2001– أيار 2002 م كانت نسبة التحاق التلاميذ بالصف الأول من عدد السكان بعمر 6 سنوات هي 91,5% في عام 2001م، نسبة الذكور 92,9%، ونسبة الإناث 90,1%. وازدادت هذه النسبة طردًا حتى وصلت عام 2006– 2007 م إلى معدل التحاق بلغ 99% لكامل سورية، فيه نسبة الذكور 100%، ونسبة الإناث 98% من التلاميذ.

إن ارتفاع معدل الالتحاق بالصف الأول، مؤثر في الاستقرار الاجتماعي، لكن المرحلة الابتدائية بعمر 6–12 سنة؛ لا يوجد فيها تسرب نحو عمل الأطفال، ولا يوجد فيها تسرب نحو تزويج الفتيات، مع ذلك؛ يدلُّ الفارق لصالح الذكور على قناعات الأهل بعدم أهمية تعليم الفتيات.

تظهر كفاءة النظام التعليمي وقدرته على الاحتفاظ بالتلاميذ باستمرار مواظبة التلميذ بعد الصف الأول. إذ نجد في العام الدراسي 2006– 2007: تسرب من الصف الثاني 3629 تلميذًا، أي بنسبة 0.6%، وتسرب من الصف الثالث 4183، أي بنسبة 0.8% (تحليل الطفولة المبكرة، 2008)، وتبقى نسبة مقبولة في التعليم الابتدائي عمومًا في عمر 6– 12 سنة.

يوضّح تقرير حالة سكان سورية (ص: 307) أن نسبة الذين يصلون إلى الصف السادس في سورية عام 2004 هي 88.5% مع تفاوت كبير بين المحافظات السورية، فهي في دمشق 95%، وفي إدلب 91%، وفي اللاذقية وطرطوس 100%، وفي حلب 76%، وفي الرقة 86%، وبنسب متقاربة بين الذكور والإناث، أكبر الفوارق في الحسكة ودير الزور لصالح الذكور. (الهيئة السورية،2007، ص: 307)

شهد عام 2003م تقدمًا ملحوظًا في الوصول إلى الصف السادس؛ إذ بلغت النسبة81% من الأطفال، إلا أن بقاء 19% خارج التعليم، أو حتى 12% خارج التعليم هو نسبة عالية، ومقلقة للتربويين؛ لأنهم يخشون دخول الأطفال الذكور في عمالة متعبة؛ دون تأهيل علمي، أو زواج الفتيات دون إتمام التعليم: لتربي أطفالًا قبل أن تحصل على أية تربية.

توضح معطيات اليونيسيف 2009 أنَّ الالتحاق بالمدارس الابتدائية كان 97% للذكور و 92% للإناث في سن المدرسة، ونسبة الانتظام في المدرسة الابتدائية السورية 97% للذكور و 96% للإناث وبالمقارنات بدول أخرى نجد أنَّ نسبة التحاق الإناث في إريتريا 36% وفي ألمانيا \ 98% وفي تونس 98% (تقرير اليونيسيف، 2011)

ترتفع نسبة التسرب في مرحلة التعليم الأساسي ؛ كلما ارتفعنا في صفوف المرحلة، لتزيد أعداد الأميين، ونسبتهم في المجتمع، والأخطر في قوة العمل السورية.

حتى من نجح في الصف السادس يلتحق منهم 86,8% بالصف السابع: منهم 88,3% ذكور و85,2% إناثًا (حالة سكان سورية، 2008).

أمَّا نسبة من هم خارج مرحلة التعليم الأساسي من الفئة العمرية (12– 14) سنة، من الصف السابع إلى الصف التاسع فهي 36% من هذا العمر. حتى في هذه السن المبكرة (12– 14) سنة هناك تسرب أكبر للإناث من الذكور، إمَّا للزواج المبكر، وإمَّا للبقاء في المنزل.

3– تعليم المرحلة الثانوية:

التعليم الثانوي في سورية غير إلزامي، لكن الدولة تضمنه مجانًا للطلاب في المحافظات جميعها للفئة العمرية (15– 17 سنة) في المدارس الحكومية. نسبة الالتحاق في التعليم الثانوي 32% من الفئة العمرية من 15– 17 سنة: فيهم 33% ذكورًا و31% إناثًا وهي نسبة منخفضة جدًا ومقلقة لوزارة التربية 2004. في الإحصائيات 25% ممن نجح في الصف التاسع: لم يلتحق بالتعليم الثانوي؛ وهو إصرار على مغادرة التعليم والالتحاق بسوق العمل، أو سوق البطالة... وهو اقتناع من الطالب أو من أهله بعدم جدوى التعليم. (وزارة التربية، 2004).

يشير تقرير اليونسيف إلى أنَّ نسبة الالتحاق بالمدارس الثانوية في سورية في عام 2009م، هي 67% من الأطفال؛ ممَّا يعني أن التسرب 33%، وهو تحسن ملحوظ، لكن الانتظام في المدارس الثانوية للعام نفسه هو 64% للذكور، و 65% للإناث. بمعنى أن 35% خارج المدرسة (اليونسيف، وضع الأطفال، 2011) وبالمقارنة بدول أخرى نجد أنَّ نسبة الالتحاق في التعليم الثانوي في السويد 100%، وفي هولندا 89%، في الدول الصناعية عمومًا 92%، وفي الدول النامية 54% وفي العالم 61% (اليونسيف، وضع الأطفال، 2011)، فنسبة الالتحاق الثانوي في سورية تقترب من النسبة العالمية، وتزيد على نسبة الدول النامية، وتقل كثيرًا عن الدول الصناعية.

4– التعليم العالي:

يشير تقرير التنمية البشرية في سورية عام 2005 م إلى أن الالتحاق بالتعليم العالي هو 17.4% فيه 17.8% للذكور، و17% للإناث. وهي نسبة منخفضة للفئة العمرية 18–24 سنة. ويبلغ الالتحاق الجامعي عربيًا 25%، وفي كوريا الجنوبية 65% من الفئة العمرية.

أصبح الوصول إلى الجامعة عند الشباب صعب التحقق؛ لأن إمكانيات الجامعات السورية محدودة في استيعاب الأعداد المتزايدة من الطلاب: فقد تقدم لامتحانات الشهادة

الثانوية عام 2005 م: 211837 طالبًا في الفرع العلمي والأدبي، بلغت نسبة نجاحهم 66,5%؛ وهذا يعني أن نسبة الرسوب بلغت 33.5%، وهي نسبة عالية، و تعدُّ هدرًا تربويًا مكلفًا للمؤسسات التعليمية، ولها تكلفة اقتصادية واجتماعية مؤثرة في المجتمع. وبلغت نسبة الالتحاق بالجامعة من الناجحين في الثانوية العامة 79.7%، فيهم 85% ذكورًا، و75% إناثًا، وبقي 20.3 % خارج التعليم العالي الرسمي مع أنَّهم نجحوا بالثانوية. (تقرير التنمية البشرية، 2005).

5- مشكلة الأمية:

لا تدلُّ نسب الأمية في بلد ما على إخفاق الطالب في الحصول على تعليم مناسب فقط، بل تدلُّ على مشكلات مجتمعية تقلل من قيمة التعليم، وعلى مشكلات اقتصادية تؤثر في مستوى وكفاءة الموارد البشرية المؤهلة للقيام بالتنمية وكفاءتها، التي تستدعي الحاجة للأجنبي لتحديث منظومات الصناعة والخدمات والنقل، وتطوير للبنى التحتية..

تناول البحث سنوات ما قبل الأزمة لمعرفة الأمية، أو غياب التعليم المطلوب في سورية عمومًا وفي عدة محافظات ارتبطت أكثر بأبعاد الأزمة.

جدول (1) يبيّن نسبة أمية السكان (15) سنة فأكثر عام 2004.

المؤشر	العامة%	ذكور%	إناث%
سورية	19	12	26
الرقة	38.6	26,2	51,4
دير الزور	32,8	23,1	46,8
الحسكة	35,1	23,3	47,1
حلب	23,7	16,8	30,9
إدلب	20,4	11,7	29,4
درعا	13,7	7,1	20,4
طرطوس	13	6,9	19,3

تقرير حالة سكان سورية 2008م

محافظات الرقة ودير الزور والحسكة: تصل فيها نسبة الأمية إلى نصف سكانها، وهي محافظات فيها ضعف في التنمية المجتمعية، وتأثير كبير للعادات والتقاليد ؛ في قبول تعليم النساء وعملها (أقل نسب لتعليم الإناث إلى الذكور في الابتدائي والثانوي لمجمل سورية) (تقرير حالة السكان، 2008).

بلغت نسبة الأمية في سورية 16,2% عام 2009 : للذكور 9,3% وللإناث 23,4% وهو فارق كبير؛ لا يزال يدلُّ على توجهات مجتمعية نحو تعليم الفتيات، ونحو متابعة تعليمهن بعد ذلك. بذلت الدولة جهودًا حثيثة لتطبيق إلزامية التعليم ومكافحة الأمية؛ فانخفضت نسبة الأمية إلى 15,6% عام 2011م : الذكور 8,6% والإناث 22,6%..(الهيئة السورية لشؤون الأسرة، تقارير دورية حول المسألة السكانية، 2014)

للمقارنة فإن أمية الأقطار العربية نحو 43%، وهي أعلى من البلدان النامية التي هي نحو 30%، أمَّا البلدان الصناعية فنسبة الأمية فيها نحو 0%!! (غدنز، 2005، ص: 546).

6- مشكلة الدوام النصفي:

نشأت المشكلة من تزايد أعداد التلاميذ في مدارس سورية، وعدم قدرة المدارس على استيعاب الأعداد المتزايدة من التلاميذ في صفوفها، مهما زاد عدد التلاميذ في الصف الواحد. والدوام النصفي هو أن تداوم دفعة من التلاميذ من الساعة السابعة صباحًا حتى الثانية عشرة، لتأتي دفعة ثانية فتداوم في المدرسة نفسها من الثانية عشرة حتى الساعة الرابعة والنصف. هذا الدوام متعب للمعلم وللطالب، وهو يعكس أزمة مجتمعية اقتصادية في عدم القدرة على بناء المدارس المناسبة لعدد الطلاب.

بلغت مدارس الدوام النصفي في سورية 48% من عدد مدارس التعليم الأساسي (وزارة التربية، 2004، ص: 69) وانخفضت مدارس الدوام النصفي إلى 30% عام 2007م. في ظروف الأزمة الحالية في سورية قد تكون مدارس الدوام النصفي؛ حلًا لمشكلة النقص الحاد في عدد المدارس. لكن الاكتظاظ والدوام النصفي والضغط المتواصل على المعلمين؛ قد يكون أحد أسباب ضعف مخرجات التعليم، وضعف الجدوى منه، فضلًا عن أنَّه أحد الأسباب الرئيسة للتسرب.

7- الإنفاق على التعليم:

يبدو أنَّ بناء المدارس وتجهيزها بمستلزمات التعليم في حدودها الدنيا أكبر من قدرة الدولة قبل الأزمة، فكيف هو الحال بعد الأزمة التي استهلكت موارد الدولة. فقد تطور

الإنفاق الحكومي على التعليم ما قبل الجامعي من 4,1% من الموازنة العامة السورية سنة 2000 إلى 12.7% من الموازنة عام 2005. وهذا يعدُّ قفزة نوعية بوجود نفقات متنامية للدفاع والتنمية، كما تضغط الزيادة السكانية على ميزانية الدولة ومواردها. (اليونسيف، الهيئة السورية، تحليل وضع الطفولة المبكرة، 2011)، تقدر اليونسيف نسبة الإنفاق الحكومي على التعليم في سورية 9% عام 2008، والإنفاق على الدفاع 24%، وعلى الصحة 2% من الموازنة. (يونسيف، وضع الأطفال، 2011) والمقارنات تفيد في معرفة موقع سورية من الإنفاق على التعليم:

- الدول النامية تنفق على التعليم 8 % من الموازنة، وتنفق على الدفاع 8%من الموازنة. في حين تنفق الدول العربية أقل من الدول النامية على التعليم.
- الدول الصناعية تنفق على التعليم 4%، والدفاع 12%، وعلى الصحة 18%. وتنفق الدول النامية أقل من الدول الصناعية على التعليم.
- "فنلندا" تنفق على التعليم 21% من موازنتها: وفيها أفضل نوعية تعليم في العالم ومجاني لطلابها وللأجانب.
- وباكستان تنفق على التعليم 2%، وفيها معرفة اليافعين للقراءة للعام نفسه 2008 هي 79% للذكور و 59% للإناث....

ثانيًا: مشكلات المدرسة في سورية وعلاقتها بالتسرب:

في الوقت الذي يحكم الأسرة جيل سابق عن الجيل الحالي، وعادات وتقاليد سابقة، كثيرًا ما تكون غير عقلانية، في مجتمع الإعلام فيه مخترق من اتجاهات ومحطات خارج المنظومة الاجتماعية والإيديولوجية للدولة....وأحيانًا معادية ومتحيزة:

لا تزال المدرسة هي الملاذ الآمن لحماية الأطفال من التطرف، ولحماية التسامح والعيش المشترك؛ إذا قامت بدورها الاجتماعي بالشكل المناسب، وهي الوسيلة المناسبة اليوم للإصلاح الاجتماعي وتشكيل الشعور الجمعي، والاتجاهات العقلانية نحو البيئة، ونحو المحيط الاجتماعي.

المدرسة الجاذبة للطفولة مطلوبة اليوم؛ لاستقرار المجتمع المضطرب، ولمنع التسرب الذي هو أكبر مشكلات تشكيل الوعي الجمعي الصحيح. حين يختار المتسرب ترك المدرسة، فقد اختار طريقًا للتجهيل والتطرف وعدم التسامح والابتعاد عن العقلانية... وعن التنمية المأمولة لسورية.

أسباب التسرب:

في علاقات المجتمع المتشابكة تجتمع الأسباب بالنتائج: فالزواج المبكر، وزيادة الأولاد، وزيادة عمالة الأطفال بسبب الفقر: هي أسباب للتسرب؛ ونتائج للتسرب من المدرسة.

تحدَّث البحث بإيجاز عن أسباب التسرب في المدرسة السورية التي ناقشها البحث من خلال مجموعات بؤرية من الطلاب والمعلمين، ممن سألهم البحث عن أسباب التسرب: يرى المعلمون والطلاب أن من أسباب التسرب:

1. ما يرتبط بالمعلم في المدرسة:

- غياب الاستقرار المادي والنفسي للمعلم.
- ضعف التأهيل العلمي للمعلم.
- الشدة في تعامله مع التلاميذ، وعدم مراعاة الفروق الفردية، قد يكون ذلك متنفسًا لمشكلات المعلم السابقة.
- عدم تحقيق القدوة في تصرفات المعلم.
- إن المعلم الذي يعيش حالة من العوز والبؤس؛ لا يمكن أن ينتج تعليمًا مناسبًا؛ لأن المعلم المأزوم؛ غير مؤهل لتقديم تعليم فعَّال.

سعت وزارة التربية في الخطة الخمسية العاشرة 2006- 2011م إلى إعادة تأهيل المعلمين في سورية بنسبة 70%، باستكمال تأهيل المعلم في الجامعة، لكن هذه الخطة لم تكتمل لأسباب متعددة، وجاءت الأزمة لتضع على كاهل المعلم كثيرًا من الأعباء الاجتماعية (التهجير) والاقتصادية (غلاء المعيشة) التي أضعفت أداء المعلم في مدرسة اليوم، مع أنّه قدم تضحيات كبيرة، ويقدمها المعلمون خلال الأزمة وحتى الآن.

<u>الجهاز الإداري:</u> تنسحب ظروف المعلمين على الجهاز الإداري،- وهو منهم- فمع وضع شروط لاختيار المديرين وإقامة الدورات لهم: فإن الإدارة بحاجة لإصلاح جذري؛ لتحقيق المرونة والكفاءة في الإدارة المركزية، والعمل بإدارة الجودة فعليًا في المدارس.

لا يستطيع الإداري والمعلم في تعليمنا -بظروفه الحياتية الصعبة ونقص تأهيله ومحيطه- تفعيل العملية التعليمية، والنهوض بتغيير قيم الطالب ومنظومته الفكرية لما بعد الأزمة.

2. ما يرتبط بالمدرسة:

- حجم الصف وعدد المقاعد غير المتناسب مع عدد الطلاب، فضلًا عن عدم وجود فراغ مناسب لفعالية الطلبة: والكثافة الصفية العالية.
- السماح بالعقاب البدني أو النفسي؛ فمع قرارات وزارة التربية بمنع الضرب في المدارس؛ إلا أنَّ بعض الإدارات المدرسية؛ غير مؤهلة لاتخاذ قرارات صحيحة في التعامل مع أعمار الطلاب، ومشكلات المراهقة، خاصة في ظل الأزمة.
- إهمال النشاطات اللاصفية، وعدم وجود باحات مناسبة لراحة ولعبهم الطلاب.
- بعض الأبنية المدرسية قديمة، ومتآكلة؛ إذْ لم تعد تناسب الأغراض التربوية، أو أن البناء أُنشِئَ–أصلًا– لغير أغراض التعليم.

في سورية شكلان من المدارس: مدارس حكومية مجانية للجميع، ومدارس خاصة مدفوعة الأجر، هي الشكل الآخر من التعليم في سورية الذي تدفع الأسرة لقاء تعليم أولادها مبالغ طائلة، على أمل الحصول على خدمات تعليمية أفضل من التعليم الحكومي، ومع إلزام هذه المدارس بالمنهاج التربوي العام لسورية؛ إلا أن كثيرًا منها يؤكد هويته بنشاطات صفية، ولا صفية؛ تلحق بالمنهاج الرسمي، إلى جانب رموز الاتجاه الديني في المدرسة، التي تشكل قدوة سلوك الطلاب والطالبات.

تشير المدرسة في سورية المقامة على أساس طائفي، أو على أساس الدين؛ تشعر الطلاب بالاغتراب والتميز عن الآخرين، وهذا يزيد التباعد الديني بين الطوائف، والتمايز، ولا يشجع على قبول الآخر، و يقلل الاندماج الاجتماعي والتسامح...

بلغ عدد المدارس الكلي في سورية (16190) مدرسة عام 2006–2007م، بمقارنة بسيطة بعدد المساجد في سورية (10000) عام 2010. والتقديرات عند مفتي سورية الشيخ الدكتور أحمد بدر الدين حسون أن 30% من السوريين يتوجهون إلى الجامع كل يوم جمعة؛ أي 4 مليون سوري، وراء كل منهم زوجة وأولاد؛ فيقدر بأن الخطاب المسجدي يتوجه إلى 12 مليون سوري... هناك إلى جانب المسجد "مصلى" في كل منشأة تجارية، ومدارس تحفيظ القرآن الكريم وعددها (772) في سورية: منها (179) في دمشق، و (206) في ريف دمشق، وفي إدلب (69) معهدًا، وفي دير الزور (69) معهدًا (في المحافظتين أعلى نسبة بطالة) فإذا اجتمعت البطالة مع الأمية، ومع دروس

المسجد، لإمام مسجد نصف أمي: فنحن أمام وصفة ممتازة للتطرف والابتعاد عن الحياة الواقعية إلى أحلام تغيير الواقع بالوهم!

في إطار البحث عن بديل للمدارس المهدمة في أزمة سورية أسأل: هل فتح المدارس جائز من أموال الزكاة؟ هل يمكن جمع تبرعات في المساجد لبناء المدارس؟ هل يمكن التعاون بين وزارة الأوقاف ووزارة التربية ليكون تحت كل جامع مدرسة؟

تذهب التبرعات على مستوى سورية تذهب إلى المساجد: لأسباب نفسية واجتماعية واعتقاديه: تحظى المساجد وبناء المعاهد الشرعية: بالحصة الكبرى من تبرعات الأغنياء، ومن أموال التجار والصناعيين الكبيرة، وتحرم معاهد الأحداث والمعوقين بتفرعاتها الكثيرة من أموال الزكاة والتبرعات.. مع حاجة مؤسسات الرعاية الاجتماعية الشديدة، ونقص مستلزمات هذه المؤسسات الاجتماعية.

من آراء المجموعات البؤرية: يرى الطلاب في المجموعة المبحوثة: أن هناك تفاوتًا في أداء المعلمين، كما لا يعامل الأساتذة الطلبة بالتساوي، ممَّا يشعر الطالب بعدم العدل، وعدم حصوله على الدرجات الحقيقية، إمَّا لقرابة طالب معين من إدارة المدرسة، أو لأهمية مركز الأب... الطلبة يطلبون التساوي بين الطلاب بغض النظر عن أصولهم.

يؤثر موقف المعلم من التعليم، وتأهيله، وتوجهه الفكري: في تقديم المواد وتفسير المنهاج المقرر من الدولة.

حولت المدارس قبل الأزمة بسبب الاكتظاظ الطلابي: مخبر المدرسة إلى صف أو مستودع، مع أن التعليم الجيد هو الذي يعتمد على تجارب تطبق في المدارس، وهو أرسخ لوصول المعلومة إلى الطلاب.

3. ما يرتبط بالطالب المتعلم:

المتعلم هو هدف العملية التربوية، في التسرب تتدخل الظروف المحيطة بالطالب (الذاتية والعامة) في قدرته على متابعة التعليم، أو الانسحاب إلى خيارات أخرى خارج المدرسة. أهم أسباب التسرب هي حالة الطالب الاقتصادية، وحاجته للعمل لإعالة أسرته، في ظل الأزمة ارتفعت هذه الأسباب عند الطالب إلى خيار مفضل.

- تتسرب الفتاة بضغط العادات الاجتماعية عليها؛ لحرمانها من التعليم أو من استكمال التعليم: إمَّا لبقائها في المنزل أو لتزويجها.

- يتسرب الطلاب لأسباب تتصل:
✓ بتنقل الأسرة أو تفككها؛ خاصة في ظل الأزمة.
✓ بالرسوب المتكرر، والتأخر الدراسي، وانقطاع التعليم.
✓ بكراهية النظام المدرسي وعاداته، التي لا توافق عادات المتعلم وتزيد اغترابه.

4. ما يرتبط بالمناهج المدرسية:

المناهج هي المحتوى العلمي لما يقدم للطلاب لتحقيق التعلم في شكله الظاهر، لكن"بيير بوردو" يشرح بأن هناك منهاجًا خفيًا خلف المنهاج، يتجلى بالنظام التربوي للحياة التربوية والمدرسية، لمختلف الفعاليات التربوية المضمرة في المدرسة التي تظهر عنفًا رمزيًا لمضامين التعليم وأساليبه بصورته الأولى، في هيئة أمرة تقول للمتعلم " تعلم ما يلقى إليك ولا تناقش". يتجلى العنف الرمزي للمناهج في اختيار المواد التعليمية المقدمة للطالب.

يوضّح هذا البحث أنَّ محتوى بعض المواد يبتعد عن متطلبات الطلاب واهتماماتهم وميولهم. ولا سيما سنوات الأزمة السورية.(تحليل مناهج الكتب يوضّح عدم تحديثها خلال الأزمة)!

- صعوبة بعض موضوعات المنهج وطولها.
- أحيانًا تستخدم المناهج مفردات ومصطلحات غير مناسبة لنمو الطفل اللغوي، ولتباين المحصول اللغوي لدى المتعلمين؛ من بيئات مختلفة في سورية.

يجب أن تطوّر المناهج بشكل دائم لمراعاة التطورات المجتمعية والمعرفية في سورية وفي العالم. المنهج المدرسي يجب أن يتوافق مع فلسفة الجمهورية العربية السورية التربوية، وتوجهاتها العامة؛ خاصة في ظروف الأزمة السورية.

يحلل هذا البحث مثالين من منهاج الصف الأخير للمرحلة الثانوية: بدراسة كتاب التربية الإسلامية للصف الثالث الثانوي 2015–2016م؛ تجد مع أنَّ الكتاب أُعِدَّ في عمق الأزمة؛ فإن فصوله تتحدث عن الجهاد في الإسلام بشكل عام؛ دون مناقشة الجهاد الذي تتبناه بعض الجماعات الضالة التي تكفر المسلمين جميعًا.

جرى الحديث في الكتاب عن الإسلام مجردًا من علاقته بالانتماء الوطني، أو القومي، ولم يستخدم الانتماء الوطني: لا في الوظائف، ولا في النشاطات، ولا في الأمثلة.

- (إن الله يؤخر العقوبة إلى يوم القيامة) ص19 يجب توضيح أن المحاكم الشرعية التي تعجل العقوبة في الدنيا، وتقيم حكم الله قبل موعده غير جائزة في الإسلام، ومرفوض أيضًا إقامة الأحكام من الأفراد أو الشيوخ.
- ص55 حديث شريف ينهى عن الزنى لأنه جريمة، يجب أن يؤكد الكتاب أن كل إجبار للمرأة تحت تهديد السلاح على ممارسة الجنس هو زنى، وهو محرم في الإسلام. وأن ما تفعله "باكو حرام" حين تأخذ طالبات مدرسة في نيجيريا، وتعدُّهُنَّ جميعًا سبايا؛ هو عمل ضد الإسلام، ومن يقوم به هو عدو للإسلام وللمسلمين.
- كتاب الديانة لا يتحدث عن ما هو عربي في الكتاب كلّه، وكأن الإسلام متخارج عن العروبة، لا يبحث كتاب الديانة دور العرب في الحضارة الإسلامية، و أن لا صراع بين العروبة والإسلام وإنَّما تناغم وانسجام.

درس هذا البحث عشرات الأمثلة في كتاب التربية الإسلامية للثالث الثانوي: التي تدُّل على أن الكتاب لا يتفهم الأزمة التي تعيشها سورية، وأن الطالب بدراسة الكتاب لا يستطيع الرد على الجماعات التكفيرية، بل على العكس؛ تجد شعارات كثيرة مرفوعة من جماعات تكفيرية مسلحة موجودة على الأرض السورية: موجودة في كتاب يدرس للطلاب السوريين 2016م مثل: الجهاد، السبي، وقطع اليد والرأس، و إقامة شرع الله، وصلاة الحرب، ورفض القبور.. وهي مصطلحات ومفاهيم ظهرت بقوة في أماكن احتلتها "داعش": مهمة الكتاب المدرسي شرحها من وجهة نظر الإسلام الصحيح: دين التسامح والعدل.

المثال الثاني في المناهج السورية من كتاب التربية الوطنية للصف الثالث الثانوي الذي يدرس عام 2015–2016 م طبع أول مرة عام 2013 م، الكتاب لا يدخل في هموم المواطن الحالية أو فهم أبعاد الأزمة السورية، ممَّا يدلُّ على أنه كتب قبل الأزمة: فالكتاب لا يتطرق لشكل الانتماء العربي في سورية وتطوراته... ضمن وحدة "الأمن القومي": لا يتناول ظهور التطرف والتكفير وخطره على العرب والعالم... إذا كان كتاب التربية الوطنية (الذي دُرِّسَ في العام الدراسي2015– 2016م : للطالب في الصف الأخير قبل الانتقال إلى الجامعة) لا يتطرق للأزمة السورية؛ فما الكتاب الذي يجب أن يشرح أبعاد المؤامرة على سورية، ومصلحة العدو الصهيوني، وأمريكا فيما يجري على الأرض السورية؟؟

يوضح هذا البحث أنَّ المناهج مؤقتة، خلال مدة محددة، وهي بحاجة إلى تطوير دائم؛ بما يتلاءم وحاجات الطلاب وحاجات المجتمع وتغيرهما. وأن المنهج المناسب للطالب هو المنهج الذي يربط الطالب بحياة مجتمعه، وقضايا سورية المعاصرة. مع ملاحظة أن المنهاج لا يرتبط بمحتواه فقط، بل وبالطريقة التي يقدمه بها المعلم، وهذا يرتبط بتأهيل قدرات المعلم وتطويرها، كما نطور المناهج.

يمكن الحديث عن مشكلة التسرب؛ بوصفها أهم المشكلات التي تعترض الطالب، لأن وقف التسرب يعني متابعة التعليم، وتجفيف مصادر التجهيل، والتطرف وأحادية التفكير، والأمية اللاحقة؛ لأن الخلاص من ذلك، واستمرار التعليم هو الأنسب؛ لإزالة أسباب الأزمة الثقافية والتحضير لبناء سورية الجديدة.

الجدول (2) نسبة التسرب من التعليم الأساسي في سورية % في عام 2004م

المؤشر	ذكور	إناث	عام
الرقة	17	19	18
دير الزور	12	9	10
الحسكة	14	17	15
حلب	25	23	24
سورية	11	12	11.5

مستخرج من (حالة سكان سورية 2008م)

نسبة التسرب العليا في المنطقة الشرقية، التي كانت تعدُّ نامية تعليميًا، فيها انخفاض في تعليم الإناث وارتفاع في أميتهن، وبعدهن عن العمل، ويرتبط ذلك بارتفاع معدل البطالة في هذه المحافظات أكثر من المحافظات السورية الأخرى: إذ معدل البطالة لكل سورية 12.3% عام 2004، فيه 26.5% في الحسكة، و 7.7% في درعا، و17,1% في حماه، و 10.3% في الرقة، و13.1% في دير الزور. وكلها نسب بطالة أعلى من المعدل العام لسورية عام 2004 (حالة سكان سورية، 2008م) إذ التسرب يؤدي إلى البطالة وانخفاض المستوى التعليمي للذكور والإناث، وتحجيم دور المرأة في الحياة العامة لإنتاج التسرب عند الأولاد مرة أخرى... وهنا تبدأ حلول صنع الحاضر والمستقبل بالعودة إلى الماضي...

تؤثر النتائج الأساسية للتسرب في قوة العمل السورية : يوضح تقرير حالة السكان عام 2008م أن 60% من قوة العمل السورية؛ بمستوى تعليم ابتدائي فما دون!! فكيف يمكن تطوير العمل، والتنمية بموارد بشرية هذا حالها؟ هنا تسرب يؤدي إلى بطالة وإلى أعمال هامشية، وضعف الحالة الاقتصادية للبلد كلّه، بما يعيد إنتاج التخلف والتسرب...

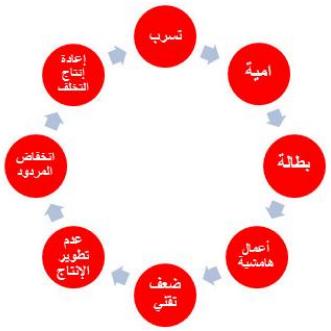

5 – مشكلة الرسوب:

الرسوب يعني إعادة الصف الدراسي للطالب غير القادر على النجاح في امتحانات نهاية العام الدراسي. بعض الدول ألغت الرسوب في السنوات الانتقالية مثل "فنلندا" و"تونس"، والحقيقة أن الرسوب مشكلة **اجتماعية** في زيادة الضغط الاجتماعي من الأهل ومن الأقران على مسيرة الطفل، ومشكلة **اقتصادية** لأن ظروف الأزمة جعلت إعادة السنة للطلاب إشغالًا للمقاعد وللمدارس.. ولأمكنة تحتاج إليها الدولة لاستقبال الأعداد المتزايدة من الطلاب.

كتلة عدد الطلاب الذين يعيدون نهاية التعليم الأساسي هي 34% من الطلاب، وهي نسبة ليست كبيرة بل هائلة: فكيف يعيد ثلث الطلاب العام الدراسي، وكم يحتاجون من أمكنة وأساتذة ووسائل تعليم... في السنة المعادة؟

تقدم لامتحان التعليم الأساسي (الكفاءة) في دورة 2017م: بالعدد 249 ألف و669 طالبًا؛ نجح منهم 164 ألف و369 طالبًا أي بنسبة 65,83% من الطلاب؛ بذلك رسب 35% من الطلاب بعمر 15 سنة ؛ لذلك أثر في التسرب، وقطع التعليم... (إحصائيات وزارة التربية، دورة 2017م).

أثارت نتائج الشهادة الثانوية للعام 2017م كثيرًا من التساؤلات؛ لأن نسبة النجاح في الفرع العلمي كانت 55,5% من الطلاب، ومن الفرع الأدبي 44% من الطلاب؛ وهي نسبة منخفضة جدًا؛ فالشهادة الثانوية تحدد مصير الطلاب في الدخول إلى الجامعة، فكيف سيعيد نصف الطلاب سنتهم الدراسية؛ مع مشكلات هذه السنة المصيرية كلّها عند الطلاب وعند الأهل.

تقول إحصائيات وزارة التربية: إنَّ نسبة النجاح في دورة عام 2016م للفرع العلمي 67,7% من الطلاب، وبلغت نسبة النجاح للفرع الأدبي 50,7% للدورة نفسها. في سورية هناك دورة إعادة للشهادة الثانوية: بلغت نسبة النجاح في الدورة الثانية لعام 2017؛ في الفرع العلمي هي 78,4%، وللفرع الأدبي 61,4%؛ وبذلك فقد رسب 22% من الطلاب في الفرع العلمي، و39% من الطلاب في الفرع الأدبي (جريدة تشرين، العدد 12972 تاريخ 2017/7/3م)، وهي نسب مقلقة وترتبط بالمناهج وبالمعلم وبجدوى التعليم ونجاحه... فالرسوب يؤثر أيضًا في التسرب، وقطع التعليم، أو زيادة الضغط على المدارس المكتظة أصلًا؛ ولاسيَّما أوقات الأزمات.

إن الفهم الاجتماعي يربط الرسوب وضعف التحصيل الدراسي بالقضايا الاجتماعية والأسرية المحيطة بالتلميذ – الطالب: تدلُّ البحوث الاجتماعية الميدانية، التي تبحث ظاهرة الرسوب:

1) عدم وجود دلالة إحصائية بين جنس التلميذ والرسوب في الصف.
2) يؤثر المستوى التعليمي للوالدين في تحصيل التلميذ.
3) يؤثر مستوى دخل الأسرة في التحصيل التعليمي للتلاميذ.
4) هناك علاقة عكسية بين حجم الأسرة، ومستوى التحصيل عند التلاميذ. (حموي، 2012م، بتصرف).

ثالثًا: أزمة سورية وأزمة التعليم:

إن الجهاز التربوي بإدارته، ومعلميه، ومناهجه... يعيد إنتاج الأزمة بدل العمل على تجاوزها، فالمدارس التي تعتمد التلقين، والصفوف المكتظة، والمعلم المتعب: تعدُّ طاردة للطلاب بدل أن تكون جاذبة لهم.

يتحدث "اليتش" بأن المدارس تلقن الطفل "الاستهلاك السلبي" أي القبول الطوعي الخانع بالنظام الاجتماعي القائم، كذلك يوضّح "بوردو" مفهوم إعادة إنتاج الثقافة، لإدامة

نواحي اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية جيلًا بعد جيل (غدنز، 2005، ص: 560)، المثقفون اليوم يضعون للمدرسة الدور الأول في تحقيق الوئام الاجتماعي والتصالح وتعليم الطلاب ليتعلموا وحدهم... إذا قامت بدورها بالشكل المناسب.

يوضّح جدول وزارة التربية فصل أول 2012–2013 : أعداد المستوعبين بالمدارس من مجموع التلاميذ للسنة الأولى من الأزمة؛ لنجد نسبة الالتحاق في التعليم الأساسي هي 95% في الوقت الذي كانت 2005 – 2009 تقترب من 100%، ممَّا يدلُّ على حساسية الأطفال للأحداث المحيطة بهم. في العام 2012– 2013 لا توجد معطيات بأعداد الطلاب لمحافظات: حلب وإدلب ودير الزور والرقة؛ لأن الأزمة تؤذي الأطفال قبل الأبنية... (وزارة التربية، مديرية التعليم الأساسي، 2013م).

أثّرت الأزمة الاجتماعية والاقتصادية الشاملة التي عصفت بسورية؛ بقوة في التربية والتعليم سلبًا؛ لأن ضعف التكوين السابق جعل من المستحيل وقوف المنظومة التعليمية أمام طوفان التخريب، وقد أثرت الأزمة خاصة في حياة الأسرة السورية، وفي مقدرات حياتها... وفي مقدمة ذلك... تعليم أطفالها.

فكيف تعالج الأسرة السورية متطلبات التعليم في الوقت الذي انكمش الاستهلاك الخاص بمقياس معيشة الأسر 41,7% عام 2014 م مقارنة بعام 2010 م، وهذا مؤشر كبير لتقليص النفقات في الأسرة، في ظروف التهجير القسري، والإفلاس، مما يدفع بالأسر لإخراج الأولاد من المدرسة، لأسباب اقتصادية وأمنية، ودفعهم لسوق العمل.

فقد ارتفع معدل البطالة من 14,9% عام 2011 م ليصبح 57,7% نهاية 2014 م؛ إن 3.7 مليون شخص عاطل عن العمل عام 2014 م؛ ممَّا يعني فقدان المصدر الرئيسي لدخل 12 مليون شخص: بفقدان مصادر رزقهم وأماكن عملهم، وبيوتهم.

انخفض عدد السكان من 20,8 مليون نسمة عام 2010 م، إلى 17.67 مليون نهاية 2014، كما غادر 52.4% من السكان أماكن سكنهم المعتادة، طلبًا للأمان، وهربًا من المعارك في أماكن سكنهم الأصلية، إذا أضفنا إلى ذلك لاجئين دون تسجيل، وهم 1,55 مليون سوري، يعني أن الباقي في سورية 16 مليون سوري حسب تقرير الأونروا و UNDP، وبذلك يشكل اللاجئون من سورية؛ أكبر مجموعة لاجئة في العالم.

64,7% يعيشون في حالة **فقر شديد** عام 2014 تختلف بحسب المناطق.

نسبة الأطفال خارج المدارس عام 2014– 2015 هي 50,8% من الأطفال في سن المدرسة.

الخسارة في رأس المال البشري تعادل 5,1 مليار دولار في مرافق الحياة السورية كلّها. وبذلك فإن متوسط العمر تراجع من 76 سنة عام 2010 إلى 55.7 سنة نهاية 2014م.

السوريون 2014م هم: 52% انتقلوا أو هربوا إلى مناطق أخرى ضمن القطر، وتغيّرت بذلك الخريطة السكانية السورية، و28% باتوا لاجئين في الخارج، في دول الجوار، و13% هاجروا إلى بلدان أخرى عربية أو أجنبية.

يعاني 82.5% من السكان من الفقر والحرمان متعدد الأبعاد. نهاية عام 2014 أعلى معدل فقر 89% عند سكان الرقة: المدينة المنكوبة بالمقاييس كلّها: فكيف نسأل عن التعليم في مدينة سيطرت عليها (عام 2014م) جماعات: تكفر المعلمين والمناهج، وتبيع الفتيات في سوق النخاسة. كان انتصار الدولة السورية على الإرهاب 2017 ؛ انتصارًا لقيم التعليم التسامحي، والعيش المشترك.

تزايد الفقر المدقع نهاية 2014م في سورية إلى 30% (أي صعوبة الحصول على غذاء). (تقرير الأونروا و UNDP، 2015م).

بلغ عدد المدارس التي تضررت جزئيًا أو كليًا 3549 مدرسة وارتقى 788 شهيدًا من أطر التدريس و475 تلميذًا: ممن لا ذنب لهم إلا رغبتهم بالتعلم والوصول إلى مدارسهم مدججين بكتبهم ودفاترهم. (التقرير 1، الهيئة السورية للأسرة، 2014) فقد تضررت البنية التحتية للتعليم في مختلف المناطق، وتوقف التعليم شهورًا عدَّة، توقفًا نهائيًا في مناطق أخرى؛ لتهدم المدارس، أو بسبب التهجير القسري للطلاب وعائلاتهم... أو لوفاة المعيل.

قامت وزارة الشؤون الاجتماعية السورية بإجراء بحث لأوضاع المرأة في مراكز الإيواء عام 2014م ظهر فيه: تأكيد المستوى التعليمي ودوره في التكيف: فقد بيّنت الدراسة أنه كلما ازداد تعليم المرأة ؛ زاد إحساسها بمشكلاتها النفسية في مراكز الإيواء. وكان التعرض للتحرش الجنسي أكبر؛ مع انخفاض المستوى التعليمي: إن المستويات التعليمية العليا؛ على وفاق دائم مع المشرفين على الدار (أوضاع المرأة، وزارة الشؤون الاجتماعية، 2014، ص: 134)

وعن الحالة التعليمية للنساء في مراكز الإيواء يجد بحث وزارة الشؤون أن 80% منهن حصلن على تعليم أساسي وما دون، ذلك من مجموع 282 مبحوثة، أعمارهن بين 18–55 سنة (أوضاع المرأة، وزارة الشؤون الاجتماعية، 2014، ص: 53)

كذلك تبيّن أن المبحوثات تزوجن قبل بلوغ سن 18 سنة، في مجمل حالات الزواج البالغة 225 حالة زواج، منها 37% فقط فوق 18 سنة والباقي 63% أقل من 18سنة. المبحوثات المهجرات في مراكز الإقامة المؤقتة يواجهن مشكلات متعددة بعد التهجير القسري؛ ممَّا يستلزم إعادة تأهيلهن وتعليمهن، بما يعزز وجودهن ويمكنهن من اختيار مستقبلهن.

مراكز الإيواء هي المدارس التي لجأ إليها الناس هربًا من المعارك والمناطق الساخنة... هذه المدارس زاد عددها على ألف مدرسة بداية 2014، أخرجت من خدمات التعليم لتخدم العائلات المهجرة !! بظروف الأزمة الحالية تراجعت مرتبة سورية 2014م على دليل التعليم من المركز 124 لعام 2011 م إلى المركز 168 من أصل 187 دولة. (تقرير الأونروا، 2015م)

يوضّح تقرير برنامج التنمية والأونروا : أن التعليم يمكن أن يدعم الهوية الوطنية الجامعة ويعالج التطرف والعنصرية، لكنه من جهة أخرى قد يستخدم للدعاية السياسية والترويج لجماعة معينة وقد يبث الكراهية ضد الآخرين؛ عبر تنميط الأفراد والمجموعات والأديان (تقرير الأونروا، 2015م).

معدل عدم الالتحاق في الأعوام 2012– 2013 م هو 48,4%، وفي عام 2013– 2014م؛ لم يلتحق بمدارسهم 48,6% من التلاميذ في سن المدرسة. عام 2014 – 2015 م لم يلتحق 50,8% من التلاميذ بمدارسهم. يعني نصف الأطفال في سن المدرسة خلال الأزمة خارج المدارس: فأين يذهبون؟ هناك ارتفاع هائل بظواهر التسول والتشرد... والدخول مع جماعات إرهابية واغتصاب الفتيات. نصف الأطفال خارج المدارس !! يعني أن المستقبل غامض في التعامل مع هؤلاء بعد الأزمة: من فقد فرصته في التعلم؛ كيف سيتعامل مع بناء سورية؟ وكيف سنتعامل مع أطر هذا حالها؟ إن لم نتدارك قضايا إعادة تأهيل المراهقين.

كان أعلى معدل عدم الالتحاق في محافظة حلب 72% من الطلاب في سن المدرسة عام2013– 2014م، تليها الرقة 64% ووصل إلى 62% في محافظات ريف دمشق ودير الزور وإدلب! وتراجع الدوام في الرقة ودرعا والحسكة ودير الزور، وأصبح

الالتحاق في بعض المدارس متعذرًا؛ في 2014– 2015م: ومنعت داعش –مدة سيطرتها في الرقة ودير الزور– التعليم : لرفض خروج المرأة، ورفض مناهج التربية السورية.

قدرت الخسارة في رأس المال البشري خلال الأزمة بمبلغ 5,1 مليار دولار أمريكي.

عدد المدارس المدمرة بالكامل حتى الربع الأول من 2014 م هو 600 مدرسة، نصفها في حلب، ووصل عدد المدارس المتضررة جزئيًا إلى 2391 مدرسة. في بداية 2014 أصبحت 25% من مدارس سورية متوقفة عن العمل، 608 تستعمل مراكز إيواء، و4606 مدرسة تعرضت لضرر كامل أو جزئي، وبنهاية 2014 كانت 28% من المدارس قد خرجت من الخدمة. والتقديرات تشير إلى أن تكلفة أضرار بنية التعليم التحتية 129 مليار ل.س مع نهاية 2014.

يؤثر الشعور بضعف الأمن في الأزمة في الفتيات أكثر؛ لأن الأسر تخرج بناتها من المدرسة ردًا على شعور الأسرة بعدم الأمن، والخوف على الفتيات أكثر.

حصل تدهور في جودة التعليم بسبب ظروف المدارس المتعددة:

- ❖ نقص الموظفين.
- ❖ نزوح الأسرة.
- ❖ تخريب في البنية التحتية للمدارس، وفي التجهيزات والمعدات والمرافق.
- ❖ صعوبة تنقل الطلاب والمعلمين.
- ❖ انقطاع الكهرباء، وغياب التدفئة ضمن الصفوف.
- ❖ فقدان الأمل و الإحباط في صفوف المعلمين والطلاب، إن فقدان الأمل بالتعليم؛ يجعل الأطفال دون أي حافز للعمل من أجل المستقبل.

أوضاع الأطفال اللاجئين:

يستضيف لبنان العدد الأكبر من اللاجئين السوريين، تقدر معطيات مفوضية اللاجئين – تشرين الأول 2013 عدد أطفال السوريين في لبنان من عمر 6 حتى 17 سنة، ممن بحاجة إلى التعليم في لبنان 330 ألف طفل. (عدد الطلاب اللبنانيين في مدارس لبنان كلّها هو300 ألف طالب لبناني) لا تتعدى نسبة الأطفال السوريين الذين يذهبون إلى المدارس 30% منهم.

يصف تقرير صحيفة الأندبندنت، مخيم (سعد نايل)، الذي يحتضن اللاجئين السوريين، بأنه "مفجع" 200 ألف طفل سوري في لبنان مجبرين على العمل في جمع

البطاطا والفاصولياء والتين من الحقول في سهل البقاع، والعديد منهم يتعرضون للضرب بالعصي في أثناء عملهم في ظروف شبيهة بزمن العبيد.

(الطفل عبدالله البالغ من العمر 11عامًا توفي بعد أن ابتلع حلزونًا متعفنًا في أثناء عمله في ورشة للبناء، وقد أخفي أمر ابتلاعه للحلزون عن أهله؛ خوفًا من معاقبته؛ فدفع حياته ثمنًا لذلك) وكشف التقرير عن وجود مهنة مقاول أنفار: لتشغيل الأطفال السوريين بأعمال يومية، مياومة، هي أقرب لأعمال العبودية (جريدة الديار اللبنانية، 2014 /10/28)

نتائج البحث ومقترحاته لبناء سورية من خلال التعليم:

كيف يأكل الطفل حلزونًا متعفنًا؟ هل من جوعه؟ أم من عدم وجود خيار آخر؟ أم من جهله وتخلفه، وعدم تعلمه؟ أم من انعدام الرعاية الأسرية أو الاجتماعية؟.. أم من ذلك كلّه؟

إن الأطفال بظروفهم المأساوية اليوم هم من سيقومون ببناء سورية الغد، فكيف سيكون هذا الغد؟

ركز هذا البحث على المدرسة، وطالَبَ الدولة ببذل الجهود لإعمار المدارس؛ لأنها الوسيلة الفضلى لإعادة الاستقرار الاجتماعي، وإعادة بناء الإنسان الذي هو الأساس في إعادة إعمار سورية.

- يجب عدُّ التعليم قضية أمن قومي لأن الصراع مع أعداء سورية؛ هو بالأساس صراع بالعلم، وبدور سورية الحضاري، وهذا يتطلب جعل متطلبات التربية مماثلة لمتطلبات الدفاع الوطني، وأكثر.
- لابدَّ من دعم وزارة التربية السورية، عملياتيًا، وماديًا، من الموازنة العامة للدولة؛ لعودة الطلاب جميعهم إلى مدارسهم.
- التوسع بمشروع الأندية المدرسية لتعويض الطلاب المتسربين، والمنقطعين؛ عما فاتهم، واستمرار المدارس بإقامة الدورات التعليمية المكثفة، و تطوير المنهاج (ب) الخاص بالمتسربين من التعليم.
- إقامة دورات الدعم النفسي والاجتماعي... للأطر الإدارية والتدريسية وللتلاميذ.
- إعادة النظر في مناهج التعليم الجامعي، وما قبل الجامعي (اعتماد التطوير المستمر)
- الاهتمام بالمعلم؛ بتطوير قدراته وظروفه (تمهين مهنة التعليم).

-مهمة المدرسة تعليم الطلاب الانتماء لوطنهم بعيدًا عن الطوائف، لذلك على الدولة إلغاء قيام مدرسة على أساس ديني.

-تشير معطيات البحث الحالي إلى أن: تجويد التعليم، وتجويد الجو المدرسي: هو الأنسب لبقاء الطالب في مدرسته والحصول على تعليم مناسب لنموه العقلي ولتطوير قدراته.

– إعادة تأهيل البنية التعليمية وتأمين مستلزماتها: العناية بمدخلات ومخرجات العملية التعليمية ومخرجاتها...

هذه الأفكار هي طموح كبير؛ لأن الجهاد الأكبر: هو ضد الجهل والتجهيل في الثقافة السورية.

إن تفعيل أداء المدرسة والمنظومة التربوية: هو ربط وتوحيد لعناصر التماسك الاجتماعي الثقافي بين أبناء الوطن الواحد، لنشر التسامح وقبول الآخر... وهذا هو الأساس لوحدة سورية اليوم، ولبناء المستقبل.

المراجع العربية:

1- الأونروا ومؤسسة الأمم المتحدة للتنمية والمركز السوري لبحوث السياسات، سورية الاغتراب والعنف، 2015.
2- بروبير، جون: مدارس من أجل التفكير، تر: كهيلا بوز، منشورات وزارة الثقافة السورية، ط1، دمشق، 2002.
3- تقارير وزارة التربية السورية: مديرية التعليم الأساسي، مديرية التعليم الثانوي، الأعوام 2004-2017م.
4- حسن، محمد صديق: التسرب والتنمية، ط1، دار الثقافة للنشر، عمان، 1992.
5- حسن، محمود شمال: الخطاب التربوي العربي وإشكالية تشكيل السلوك، مجلة شؤون عربية جامعة الدول العربية، القاهرة، العدد (115)، 2003م، ص: 103-126.
6- الحموي، رنا: العوامل الاجتماعية لرسوب تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي (الحلقة الأولى)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، 2012.
7- ربيع، أسماء: التسرب الدراسي وانعكاساته، ط1، دار الفكر العربي، دمشق، 2012.
8- الرشدان، عبد الفتاح: دور التربية في مواجهة تحديات العولمة، مجلة شؤون اجتماعية، جامعة الدول العربية، القاهرة، العدد (115)، 2003، ص: 84-102.
9- غدنز، انتوني: علم الاجتماع، ط1، تر: فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005.
10- كتاب التربية الإسلامية: وزارة التربية السورية، العام الدراسي 2015-2016م.
11- كتاب التربية الوطنية: وزارة التربية السورية، العام الدراسي 2015-2016م.
12- الهيئة السورية لشؤون الأسرة والسكان: تقارير دورية عن المسألة السكانية، انعكاسات الأزمة على الواقع السكاني في سورية، دمشق، 2014.
13- الهيئة السورية لشؤون الأسرة، صندوق الأمم المتحدة للسكان، حالة سكان سورية، (التقرير الوطني الأول، 2008)، دمشق، 2008.
14- هيئة تخطيط الدولة في سورية: التقرير الوطني للتنمية البشرية، دمشق، 2006.
15- وزارة الشؤون الاجتماعية: أوضاع المرأة في بعض مراكز الإيواء المؤقتة في دمشق، منشورات وزارة الشؤون الاجتماعية، دمشق، 2014.
16- يونسيف والهيئة السورية لشؤون الأسرة: تحليل الوضع الراهن لتنمية الطفولة المبكرة في سورية، دراسة تحليلية، 2008.
17- يونسيف، وضع الأطفال في العالم 2011م: المراهقة مرحلة الفرص، صندوق الأمم المتحدة للطفولة، 2011م.